مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

# الآخر ومرايا الهوية (اللغة بوصفها هوية):

# دراسة في ضوء النقد الثقافي

**د. عبدالله محمد عامر هتان**

أستاذ النقد المساعد بقسم اللغة العربية

جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية

DOI: 10.21608/qarts.2024.262878.1870

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٣) أبريل ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

# الآخر ومرايا الهوية (اللغة بوصفها هوية): دراسة في ضوء النقد الثقافي

**الملخص:**

حاول هذا البحث دراسة الضعف الذي تمر به الأمة اليوم، وحالة الترهل الثقافي، والاجتماعي، والانصهار في الآخر، البعيد ثقافة ودِيناً ومشاعر، وتبقى الأسئلة التي ينبغي أن تظل حاضرة في الأذهان: هل الانفتاح على الآخر والتأثر بما لديه يُعد استلاباً؟ هل الهوية هوية واحدة أم هي متعددة بتعدد الأفكار؟ هل يمكن أن تكون اللغة العربية المرتبطة بالعقل العربي المنفتح على الثقافات العالمية هوية مؤثرة في الآخرين؟ هل فقدان العربي (هوية اللغة) يفقده هويته بمفهومها الحضاري العام؟. وسأتناول في هذا البحث اللغة باعتبارها هوية وطنية مقاومة لسطوة العولمة الثقافية والحضارية المهيمنة، معتمداً في ذلك على منهج النقد الثقافي كونه الأقرب لهذه الدراسة، وقد حاول البحث إيجاد بعض الحلول لقضية غياب الهوية والاستلاب الحضاري الذي نشعر به اليوم في وطننا العربي الكبير، وهي تمثل أهم نتائج الدراسة التي تؤكد أن اللغة لها دورها الكبير في حماية الهوية من سطوة الاستلاب الحضاري.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة، الهوية، تشكيل، التأثير، الآخر، النقد الثقافي.

**المقدمة:**

من الأسئلة التي تتردد في كثير من حوارات المثقفين: هل اللغة مؤثرة في الهوية ؟ وما دور اللغة في صياغة الهوية؟ وهي أسئلة تتعلق بكون اللغة من أهم الأركان التي يُبنى عليها أي مجتمع من المجتمعات وهي قرينة (الدين) في هذه الحالة، فهما عاملان مؤثران في أي مجتمع إنساني، فإذا كان الدين هو الأساس الذي تُبنى عليه المجتمعات الإسلامية للحفاظ على كينونتها الثقافية ، فاللغة هي الأخرى محافظة على تفرد الأمة ، وتبقى نقطة التقاء بين كثير من الشعوب التي قد تفرقها التيارات والاتجاهات والأفكار.

وفي المقابل فإن لغتنا العربية تواجه عدداً من التحديات، منها الداخلي المتمثل في اللغة ؛في بعدها الشعبي (العامية) ، والآخر الخارجي المتمثل في محاولة البقاء في موقع التأثير العالمي بين اللغات، ومدى الاهتمام بها ، والسعي من قبل أبنائها للحفاظ على مكانتها باعتبارها اللغة الخالدة، التي نزل بها القرآن الكريم لتبقى حاضرة في وجدان الإنسان العربي المسلم على اختلاف جنسه ولسانه ،قال تعالى (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ) [سورة يوسف:٢].

ويتناول كثير من النقاد مفهوم (الهوية ) باعتبارها مؤثرة في بناء أي مجتمع من المجتمعات ،ومتأثرة في الآن نفسه بأهم عنصرين مؤثرين في تكوينها وهما: الدين واللغة ، وإذا أضفنا إليهما الموقع الجغرافي ، والثقافة والفكر ، تَكَّون لدينا أهم أركان بناء الهوية، على اعتبار أن الهوية أو ما يُعرف بالخصوصية الثقافية قد تكون مهددة في كينونتها بإفرازات ظاهرة العولمة، وما قد ينتج عن ذلك من استلاب حضاري مؤثر في بناء الأمة ومستقبلها ، والذي من خلاله تسعى دوائر الثقافة الغربية إلى الولوج إلى ساحتنا الثقافية العربية، محاولة الهيمنة على ثقافتنا ، وهو ما قد يؤدي إلى ظهور حالات من صراع الحضارات والهويات ، والأمة التي تبقى دائماً في مكان الدفاع توشك

على الانهيار، وهذا ما يجعل الحِمل كبيراً على المثقفين والعلماء والساسة والمفكرين ليقوموا بدورهم الكبير في النهوض، و مقاومة الاستلاب الحضاري التي نشاهد بعض مظاهره اليوم في كثير من مجالات الحياة؛ في اللسان والمأكل والمشرب والسلوك، وتبقى اللغة العربية ذات دور مهم في مواجهة ذلك، على اعتبارها مُشكِّلة للهوية، محافظة عليها، داعمة لها، لتبقى هذه الأمة في مكان الصدارة.

من خلال هذه المقدمة سنتناول قضية (الآخر ومرايا الهوية – اللغة كهوية) ، محاولين أن نُسهم في دراسة هذه الظاهرة الإنسانية، والمشاركة بفاعلية بإيجاد الحلول التي تسهم في تفرد الأمة وحفاظها على كينونتها، ومشاركتها في السباق الحضاري العالمي، من خلال تأكيد دور اللغة في هذه القضية، وهي بلا شك –أي اللغة – قادرة على المساهمة في تشكيل الهوية العربية والإسلامية، التي تشارك الثقافات والاتجاهات الأخرى في بناء الحضارة العالمية.

وحتى نلقي الضوء على هذه القضية كان من الأنسب أن نستعين بمنهج النقد الثقافي ، الذي ارتبط ظهوره بظهور الدراسات الثقافية، التي انتشرت بشكل كبير في الغرب منذ ١٩٦٤م ، وبعد تأسيس مركز بريمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة، و مدرسة فرانكفورت في الأبحاث الثقافية ذات الطابع النقدي الفلسفي السوسيولوجي ، والتي استفادت بدورها من البنيوية وما بعد البنيوية.(حمداوي،٢٠١٢م)

إنّ الدراسات الثقافية، المستندة إلى ثورة الفكر الفلسفي والعلوم الانسانية، ساعدت في معالجة قضايا النقد الثقافي ، وأسست له معرفيًا ، إلا أنها لم تستطع التخلص من الخلفية الأيديولوجية، وهي بالضرورة ناتجة عن ممارسات نقدية مختلفة ،ومن هنا نجد أن فكرة الاستلاب الحضاري وعلاقتها بالآخر تظل حاضرة في كثير من الدراسات النقدية، بل هي جزء أصيل من النقد الثقافي الذي يركز على القبحيات الثقافية كما قال عنها الغذامي (السماهيجي،واخرون ،٢٠٠٣،ص١٤٩) ، ونحن في

هذا البحث نتناول قضية الآخر والعلاقة به من خلال مناقشة فكرة الاستلاب الحضاري ومرايا الهوية ، وفي المقابل نركز الحديث حول مساهمة اللغة كمشارك في الحفاظ على كينونة الأمة وتفردها، ومواجهتها للتحديات المعاصرة.

وبحسب اطلاعي لم أقف على دراسة متخصصة في الحديث عن دور اللغة بوصفها هوية في مواجهة الاستلاب الحضاري، إلا عدداً من الدراسات التي تناولت اللغة والهوية دون تركيزٍ على قضية الاستلاب الحضاري ودور اللغة باعتبارها قوة حامية ، وسأشير إلى عدد من تلك الدراسات ومنها :

١-بحث بعنوان (التمركز الحضاري و الاستلاب الثقافي وأثرهما) للباحثين: بن محمد اللقاني، وبلقاسم محمد، المنشور في مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر) عام ٢٠٢٠م، إلا أن هذا البحث أغفل الحديث عن كون اللغة هوية مؤثرة في مواجهة الاستلاب الحضاري، فهو يركز على انزياح الأنا العربي على مستوى القيم الاجتماعية والسلوكيات الخطابية.

٢-بحث بعنوان (علاقة اللغة بالهوية في ظل العولمة اللغوية والثقافية) أعده حسين مبروك، ونُشر في مجلة المداد بجامعة زيان عاشور بالجزائر عام ٢٠٢١م ، وقد تناول فيها التحديات التي تواجه اللغة في ظل العولمة اللغوية والثقافية، من خلال تسليط الضوء على العلاقة بين اللغة والهوية الوطنية والقومية، كما حاولت الدراسة رصد تجليات العولمة في اللغة العربية، إلا أن تناول هذه القضية بدأ ضعيفاً حيث اكتفت الدراسة بتناول دور المستعمر في طمس اللغة العربية وإفراغها من محتواها، ومحاولة تشجيع اللهجات المحلية وتعزيز استعمالها في الحياة العامة والرسمية، كما تعرضت الدراسة للحديث عن تلك الدعوى التي أثيرت حول كون اللغة العربية عاجزة عن مواكبة روح العصر، محاولاً الدفاع عن اللغة من هذه التهمة، وقد غاب عن الدراسة تناول فكرة الآخر وعلاقته بالهوية إلا من خلال استعراض متواضع

للحديث عن دور الآخر الغربي في الاهتمام باللغة العربية من خلال ما قدمته عدد من الجرائد والمجلات التي تصدر باللغة العربية في عدد من العواصم الغربية، والمقارنة بين حضور العربية في هذه المجلات ، وفي المقابل ضعفها في الإعلام العربي والتجاري – بشكل خاصة– حيث أُقصيت اللغة العربية في عدد من الوسائل الإعلامية العربية ، وتم إحلال العامية واللغات الأخرى مكانها.

٣- بحث بعنوان (اللغة العربية وعلاقتها بالهوية) إعداد الشريف كرمه المنشور في مجلة حوليات التراث بجامعة الميسان – الجزائر عام ٢٠٠٦م، وقد تناولت الدراسة اللغة باعتبارها؛ لغة الفكر والوجدان التي تتجلى في مهارات التفكير والتعبير والتواصل، وقد تناول علاقة اللغة بالهوية مؤكداً على أن اللغة رمز التعايش المشترك، وبها يتم توثيق روابط الوحدة الجماعية، وتدوين سجل الأمة وحفظ ذاكرتها ما يضمن بذلك التفاعل الحضاري مع الأمم الأخرى، كما تناولت الدراسة علاقة اللغة بالعقيدة والدين ، وأن اللغة العربية سبيل المرء إلى معرفته لذاته ولمحيطه، وهي في الوقت نفسه تفرض قيوداً تمنعه من تخطيها، فهي تمثل هوية تحيلنا أمة واحدة متماسكة، وقد أشارت الدراسة إلى عدد من التحديات التي تواجه الهوية واللغة ومن أهمها: نقص الثقافة اللغوية لدى الإنسان العربي؛ والدعوات التي تزعم عجز العربية عن مواكبة حركة العلم والتكنولوجيا، ثم خُتمت الدراسة بالحديث عن اللغة الفصحى وكونها وسيلة موحدة للهوية والثقافة العربية معا، فهي لغة مقدسة وتحتاج إلى أن تكون مرنة تعددية دينامية.

٤- بحث بعنوان( في اللغة العربية والهوية والتحديات الحضارية في المجتمعات) لمصطفى محسن ،المنشورة في مجلة الكلمة التي تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث التابعة لشركة الكلمة للإعلام والنشر المحدود بقبرص، وتناولت هذه الدراسة قضية اللغة والهوية بمنظورها الإسلامي بشكل عام، وخاصة

في المجتمعات الإسلامية التي لا تتحدث العربية، مستعرضاً دور اللغة العربية وأهميتها في العالم الإسلامي مع ضعفها في تلك المجتمعات على اعتبارها لغة ثانوية، أو هامشية ،أو مهمشة بسبب عدد من العوامل من أهمها : ضعف استعمال وتداول اللغة في هذه المجتمعات، واقتصار استعمالها في مجالات محدودة وعلمية بشكل خاص؛ وكذلك الهيمنة شبه الكاملة للغات الأجنبية على حساب العربية ، وهشاشة السياسات التربوية والثقافية التي تَضعف عن إيجاد الحلول لمشاركة اللغة العربية مع اللغات الوطنية في بناء الفكر والثقافة، وخاصة لأبناء المسلمين الذي يعيشون في تلك المجتمعات.

ومن خلال تتبع هذه الدراسات نجدها لا تشير بشكل واضح إلى كون اللغة هوية تبني شخصية الإنسان العربي ، وتشارك في البناء الحضاري، دون خضوع للاستلاب الحضاري الذي تعاني منه كثير من المجتمعات العربية والإسلامية، وخاصة مع الجيل الجديد المنفتح ثقافياً، وتواصلياً، مع العالم الخارجي من خلال وسائل الاتصال والإعلام التي هدمت الحواجز بين المجتمعات وعززت مفهوم العولمة الثقافية عند الكثير.

وفي هذا البحث الذي نحن بصدده سنتناول إشكاليةً ثقافيةً نحاول من خلال ذلك الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل يُعد الانفتاح على الآخر والتأثر بما لديه استلاباً؟ هل الهوية هوية واحدة أم هي متعددة بتعدد الأفكار والأطروحات؟ هل يمكن أن تكون اللغة العربية المرتبطة بالعقل العربي المنفتح على الثقافات العالمية هوية مؤثرة في الآخرين؟ هل فقدان العربي (هوية اللغة) يفقده هويته بمفهومها الحضاري العام؟. وسأتناول في هذا البحث فكرة اللغة باعتبارها هوية وطنية مقاومة لسطوة العولمة الثقافية والحضارية المهيمنة ، وقد تكوَّن هذا البحث من مقدمة استعرضت فيها الأركان

التي يقوم عليها أي مجتمع من المجتمعات والتي تُكوّن هويته الخاصة ، يلي ذلك ثلاثة مباحث ؛أحدها: يتناول مرايا الهوية وكينونة التفرد (تشكيل الهوية)، وثانيها: اللغة العربية في موقع التأثير العالمي ، أما المبحث الثالث فتناول اللغة في مواجهة الاستلاب الحضاري باعتبارها قوة حامية، وما يقابل ذلك من حالة الاغتراب الثقافي الذي تعيشه المجتمعات العربية ، وهي تمثل في مجملها أهم أهداف البحث ، الذي يسعى لإلقاء الضوء على قضية اللغة باعتبارها هوية .

معتمداً في ذلك على منهج النقد الثقافي؛ كونه الأقرب لتناول هذه الظاهرة الثقافية المؤثرة في الفرد والمجتمع والأمة بشكل عام ، ولعل هذا البحث أن يسهم في رسم طريق يساعد في لفت الأنظار إلى هذه القضية الكبرى التي تشكل خطراً يهدد الهوية العربية والإسلامية ، وتنشئ جيلاً معتزاً بدينه وأمته وثقافته العربية الإسلامية.

## المبحث الأول: مرايا الهوية وكينونة التفرد (تشكيل الهوية )

يعتبر مصطلح (الهوية ) من أكثر المصطلحات المُشكلة التي يتناولها النقاد والمفكرون، ومرد هذا الإشكال يعود إلى فكرة يُطلق عليها (الخصوصية الثقافية) وتُعد هذه الظاهرة في علاقتها بالهوية وبما " تثيره من التباس في علاقتها بظاهرة العولمة ،من أكثر المواضيع تداولاً في الدوائر الثقافية الغربية، وقد بدأ يبحث له عن موطئ قدم في ساحتنا الثقافية العربية منذ نهاية العشرية الأخيرة من القرن الماضي، لقد تعددت موضوعاته –موضوع الهوية – بتعدد حقوله المعرفية وتشابك مقارباته المنهجية وتعقّد إشكالياته التي – وللأسف غالباً – ما تُختزل في تصورات مُسبقة تركن إلى الايدلوجيا كحل يعفي الضمير الجمعي من مواجهة ما تفرضه أزمة الهوية من قضايا تتسم بالتغير قدر اتسامها بالثبات "( بن غنيسة ، ٢٠٢١م، ص ١٥) ، إن الهوية التي ينبغي أن تكون حاضرة في الأذهان ،ساكنة في الضمير العربي والإسلامي مهما تعدد اتجاهاتها، ومناحيها ، كما ينبغي ألاّ تكون هوية مستوردة من ثقافات أخرى، مع إيماننا الكبير بأهمية الاتصال الحضاري والثقافي مع الآخر، والانفتاح على الثقافات العالمية ، مع الحفاظ على كينونتنا الثقافية العربية ، في مواجهة دعوات العولمة المرتبطة بالحداثة التي يسعى الآخر الغربي لتصديرها بفرض الأمر الواقع ، وهذا الأمر قد يسبب اختلالاً في مفهوم الهوية لدي النشء العربي.

ولأهمية تناول موضوع الهوية وتحديد إطار عام قد يُبعد كثيراً من الالتباس الحاصل، هو ما يجعلنا ننطلق في البحث عن أصل المفردة لغوياً ، فمعناها اللغوي كما في لسان العرب يشير إلى "البئر العميق أو الهوة " قَالَ: هُوَيَّةٌ تَصْغِيرُ هُوّة، وَقِيلَ: الهَوِيَّةُ بِئْرٌ بَعِيدةُ المَهْواةِ، وعَرْشُها سَقْفُهَا المُغَمَّى عَلَيْهَا بِالتُّرَابِ فيَغْتَرُّ بِهِ واطِئُه فيَقَع فِيهَا ويَهْلِك، أَراد لَمَّا رأَيتُ الأَمرَ مُشْرِفاً بي على هَلَكةِ طواطي سَقْفِ هُوَّةٍ مُغَمَّاةٍ تَرَكْتُهُ

وَمَضَيْتُ وتسَلَّيْت عَنْ حَاجَتِي مِنْ ذَلِكَ الأَمر، وشَمَّرُ: اسْمُ نَاقَةٍ أَي رَكِبْتُهَا وَمَضَيْتُ. ابْنُ شُمَيْلٍ: الهُوَّةُ ذاهبةٌ فِي الأَرض بَعِيدَةُ الْقَعْرِ مِثْلُ الدَّحْلِ غَيْرَ أَن لَهُ أَلجافاً، والجماعةُ الهُوُّ، ورأْسُها مثلُ رأْس الدَّحْل. الأَصمعي: هُوَّةٌ وهُوًى. والهُوَّة: البئر؛ قاله أَبو عَمْرٍو، وَقِيلَ: الهُوَّة الحُفْرة الْبَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَهِيَ المَهْواةُ. ابْنُ الأَعرابي: الرِّوَايَةُ عَرْشَ هُوِيَّة، أَراد أُهْوِيَّةٍ، فَلَمَّا سَقَطَتِ الْهَمْزَةُ رُدَّت الضَّمَّةُ إِلَى الْهَاءِ، الْمَعْنَى لَمَّا رأَيت الأَمر مُشْرِفًا عَلَى الْفَوْتِ مَضَيْتُ وَلَمْ أُقم. وَفِي الْحَدِيثِ: إِذَا عَرَّسْتم فاجْتَنِبُوا هُوِيَّ الأَرضِ "( ابن منظور ، ١٩٩٣م،ص ٣٧٤)، من خلال ما ذكر صاحب لسان العرب قد يبدو أن المعنى ابتعد كثيراً عن فكرة الهوية في مفهومها الانطلوجي، إلا أن معنى العمق، والذهاب في الأرض بعيداً يحمل في ثنياه معنى السعي والمصابرة على العمل ، وهو معنى يقترب من كون الهوية تقوم على العمل الجاد من أجل الحفاظ عليها ، وبناء هوية وهويات تتعالق مع الفكرة التي يؤمن بها الفرد.

إن فكرة الهوية والهويات وما يحصل من جدل ونقاش واسع حولها قد أسهمت فيه العولمة، وما تحمله " من مخاوف وتهديدات تمس الهوية والهويات... وقد تعددت صور التعبير عن هذه المخاوف والتهديدات التي جاءت بها العولمة ، أو التي يمكن أن تجيء بها ، ومن هذه الصور أن الهوية والهويات باتت معرضة لأحد الأشكال والأنماط الآتية: التنميط، التوحيد القسري ، الأحادية ، فرض الاتجاه الواحد ، الذوبان ، الانصهار، الاختراق ، الغزو ، الهيمنة، التمييع ، التلاشي..."( الميلاد ، ٢٠١٥م، ص ١٠٦) إن هذه الأشكال التي قد تؤثر بها العولمة على المجتمعات العربية تفتح المجال للحديث عن العوامل التي تُشكل الهوية في أي مجتمع من المجتمعات ومنها:

**١ – الدّين:**

يُعد الدين أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الهوية، بل هو السبب الأبرز في تشكيل الهوية لاعتباراته الوجدانية الروحية، ولذلك جاء هذا الدين ليوحد المسلمين في كل مكان على طريقة واحدة وهدف واحد، ومصير واحد، فهو دين عالمي ارتضاه الله لجميع الخلق؛ قال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ )** [سورة البقرة:١٣٢]، وقد جعله الله رابطة سامية تجمع البشر جميعاً بكافة طوائفهم وأعراقهم وقبائلهم ؛قال تعالى( **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ): [سورة الحجرات:١٣].

وحتى يُمثل الدين هويةً لابد لأتباعه أن يكونوا على قدر المسؤولية في جعله نقطة التقاء، مع الحفاظ على كينونتهم وتفردهم ، وترتبط بذلك قضية (الخطاب الديني) التي تهيمن عليه مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية والمكونات البلاغية التي تشكلت وفق النصوص والأنواع التي مثّلته وما زالت تمثله الثقافة العربية الإسلامية، وهي تمثل بدورها قنطرة العبور إلى الآخر " فإذا كانت النصوص النموذجية التي جسّدت هذا الخطاب هي القرآن الكريم ،والأحاديث النبوية الشريفة، فإن تاريخ هذه الثقافة أفرز لنا رصيداً غنياً من النصوص التي أوصلت لنا هذا الخطاب، سواء أكانت تنتمي إلى حقول علمية وأنشطة فكرية من قبيل: البلاغة وأصول الفقه وعلوم القرآن والتفسير، أم إلى أنواع خطابية من قبيل: الوصايا والخطب والمناظرات والأشعار والأدعية والمواعظ والأخبار والرسائل وغيرها"( مشبال ، ٢٠١٥م، ص ٧) ، وتتجلى فاعلية هذا الخطاب من خلال العلاقة التواصلية مع الآخر، والتي تربط المرسل بالمتلقي ، ويجسد هذا الخطاب الديني في تجلياته المختلفة التي تفتح المجال أمام التنوع الثقافي والفكري، وهو خطاب صادر في هيئته الأولى من الله تعالى إلى أنبيائه ومنهم محمد صلى الله عليه

وسلم ليصل هذا الخطاب إلى البشر جميعاً، وهو يمثل في ذلك هوية متماسكة بمركزيتها في الثقافة العالمية، ويبقى المسلم معتزاً بهذا الدين وهذه الرسالة في أي مكان كان، لقد فهم أسلافنا رحمهم الله ذلك، فنشروا هذا الدين بأخلاقهم كما هو الحال مع التجار العرب الذين طافوا الدنيا فنشروا دينهم؛ بصدقهم وأمانتهم وتعاملهم الأجمل الذي وصّاهم عليه نبيهم صلى الله عليه وسلم.

**٢ – اللغة:**

كل أمة من الأمم تسعى جاهدة إلى الحفاظ على كينونتها وتفردها ، مع الحفاظ على هويتها الممثلة لها، وتعج ساحة الفعل في أي مجتمع من المجتمعات بالكثير من الأفعال التي تحدد صيرورتها الثقافية ، والاجتماعية ، والفكرية ، وتبقى تلك الأفعال أقولاً جامدة في ضمائر أصحابها حتى إذا ما تفاعلت معها الأمة تحولت إلى مكان الفعل، وأصبحت بعد ذلك مشاريع كبرى تغير وجه الأمة ، وتفتح آفاقاً كبرى للإبداع والتميز والتقدم.

إن الأمة العربية – في إطارها العام– تمتلك مقومات عزتها وحضارتها من داخلها ، فقد كان نزول القرآن الكريم باللغة العربية المضرية أي الفصحى أهم حدث في مراحل تطورها، حيث وحَّد لهجاتها المختلفة في لغة فصيحة واحدة ، قائمة في الأساس على معايير لغة قريش وأضاف إلى معجمها ألفاظا كثيرة، وأعطى لألفاظ أخرى دلالات جديدة، كما ارتقى ببلاغة التراكيب العربية، وفصاحة العبارة، فحملت العربية رسالة الإسلام السماوية إلى بني البشر كافة، وتهيأت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، لتصبح العربية لغة العلم والفكر والأدب الأولى في العالم، ولعدة قرون ، وفي هذا الشأن يقول شاهين(١٩٨٣م):" لم تعرف الإنسانية على طول تاريخها لغة خلدها كتاب إلا اللغة العربية، وتلك معجزة القرآن أو إعجازه إذا ما أخذ الإعجاز بمفهوم عام

يلزم البشر جميعاً، ذلك أن المعهود في تاريخ الإنسانية أن اللّغات تبقى بقدر ما يتعاظم رصيدها أو مدخورها من الآثار الأدبية والعلمية التي ألَّفها النابهون من أبنائها" لقد حملت العربية نصوص القرآن الكريم وآياته البينات، وأحكامه الراسخات، وتعاليمه السماوية وتشريعاته الربانية، وعبّرت عنها بلسان عربي مبين... وهنا لمسة حضارية بارعة، يجب أن تُسجل بماء من ذهب في حق الفاتحين المسلمين لتلك البلاد، حيث إنهم لم يسعوا إلى طمس لغات أهلها ولا إلى تحقيرها، بل إن كثيراً من تلك اللغات استفادت من العربية استفادة كبيرة ،حيث تبنت كثيرٌ من تلك اللغات الحرف العربي"( الطيب ، ٢٠١٧م،ص ٧١) لقد حافظت هذه اللغة على مرّ العصور على تفردها ، بل كانت لغة الفن والسلام والتعايش بين الأمم المختلفة ، وهي تسهم بدور كبير في تشكيل الهوية الجامعة للأمة العربية ، فإذا كان الدين والأفكار والتوجهات تختلف وتتعدد في البلاد العربية، فإن اللغة هي الجامع المؤثر لهذه الأمة العربية في جميع أماكنها ودولها، وتبقى اللغة مشتركاً ثقافياً وفكرياً بين أفراد المجتمع العربي الكبير ، وهو الدور الذي يُسهم في توحيد أمتنا العربية، ذات المصير المشترك ، وهي بذلك أهم مكونات الهوية العربية.

**٣- العامل الجغرافي:**

من المكونات التي تسهم في تكوين الهوية ، لأمتنا العربية؛ موقعها الجغرافي، فالبلاد العربية تمثل قلب العالم، ويمثل هذا الموقع الذي انبثقت منه كل الرسالات السماوية تأثيراً ظاهراً في تشابه من ينتمون إلى هذا المكان من الخليج إلى المحيط فكراً وثقافة ومعرفةً ، جعلت كثيراً من الدراسات تؤكد على تأثير الموقع الجغرافي في تشكيل هوية جامعة، وهناك كثير من المشتركات التي لا تخطئها العين عند زيارتك للبلدان العربية المتعددة، وبذلك يخرج المكان من إطاره الجغرافي نحو فاعلية بشرية جديدة،

ويعاد قراءة المكان ضمن رؤية تأويلية، وقراءة استشرافية؛ لإعادة الأمور إلى طبيعتها، والهوية نتاج الاشتراك في ممارسات اجتماعية، وعادات، وتقاليد، والمكان فضاء الهوية الذي يمنحها طابعها الذاتي، والمكان دون سواه يثير إحساساً ما بالمواطنة، فالعلاقة "بين الهوية والمكان هي علاقة تماه في أعلى درجاتها الممكنة، فالهوية تتجسد وتتمفصل وتتراءى وتتمشهد في سورة المكان دائماً، مثل ما المكان يؤسس هويته كي يعيش ويدوم، إذ لا هوية بلا مكان ولا مكان بلا هوية، ولعل العلاقة بينهما ذات طبيعة ثقافية من طراز رفيع "( السامرائي ،٢٠٠٥،ص٤٣)، من هنا يتضح الدور الكبير للمكان في تكوين الهوية، لأي مجتمع من المجتمعات ، وهو في بلداننا العربية أوضح لوجود المشتركات الكبيرة مع المكان ؛ كالدين واللغة ، والثقافة ، والمصير المشترك.

**٤- الفكر والثقافة:**

تحتل حركة الفكر وما يتعلق بها من قضايا ثقافية وفلسفية مكانة كبيرة في تكوين الهوية الجمعية لأي مجتمع من المجتمعات، " حدد رايموند وليامز ثلاثة معانٍ حديثة تستعمل فيها الكلمة –الثقافة – حالياً تتلخص هذه المعاني الثلاثة بما يأتي: أولاً إنها عملية تنمية عامة، فكرية وروحية وجمالية؛ ثانياً إنها أسلوب حياة معين لشعب أو لحقبة معينة أو جماعة بشرية؛ ثالثاً إنها أعمال وممارسات لنشاط فكري، واتخذت الثقافة معنىً أكثر شمولية بجعلها رديفة لكلمة الحضارة، وقد عالج هذه المسألة تردوروف من خلال تحليله مفردات الحضارة والثقافة، وانتهى إلى أن الحضارة هي الأخذ بالحسبان لإنسانية الآخر... وليست الثقافة إلا حكمنا على الأشياء ونظرتنا إلى الفنون، وهي جزء من الذات التي تشكل هويتنا "( اسماعيل ،٢٠١٩م،ص٢٦) من هنا تتضح لنا تلك الصلة الثقافية بين الفردي والمجتمع، فكل ثقافة هي انعكاس من ناحية الشكل لأي مجتمع، وفي الاهتمام بمسائل الفكر والثقافة، ندفع بعجلة التعددية الثقافية

والفكرية لتكون هوية تسهم في بناء الإنسان، وعند الاستثمار الأمثل لهذه التعددية نستطيع أن نفتح حوارات إيجابية تنهض بالأمة، وتجعلها في مكانها اللائق بها، والدول التي تهيئ الجو للحوارات الثقافية والفكرية تكون أكثر نضوجاً عن غيرها التي تصادر حرية الفكر والثقافة، وهي في الوقت نفسه تبني هوية عندما تتشكل من العقيدة الدينية، والمعايير الأخلاقية ، والأعراف ، والعادات ، والتقاليد ، ومن مجموع التراث الثقافي والحضاري ، الذي ترثه جماعة ما عن ماضيها ، ويسهم في تشكيل كيانها، ومن وعي الجماعة بتاريخها وتعرفها إلى ذاتها من خلاله(الدوسري،٢٠١٥م،ص ٥٣)، ويبقى دور المثقفين والعلماء والأدباء مهماً في تكوين هذه الهوية المتأثرة بالفكر والثقافة.

## المبحث الثاني: اللغة العربية في موقع التأثير العالمي

اللغة العربية ينطبق عليها ما ينطبق على اللغات الإنسانية من قواعد النمو والتطور، وقوانين الارتفاع ثم الانخفاض – حتى الموت– إلا أن الله تعالى اختارها لغة للتنزيل فتوجهت هذه اللغة بذلك إلى الخلود لارتباطها ببقاء وخلود هذا القرآن، وهي وإن كانت لغة العرب إلا أنها رافقت انتشار لهذا الدين، فأصبحت لساناً لكل المسلمين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأعراقهم وثقافاتهم، لتحقق أعلى مستوى من مستويات التوحد والانصهار والمساواة في تاريخ البشرية، شعارها في ذلك" لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" ، لقد أصبحت هذه اللغة؛ لغة الدين ولغة الحياة، ثم أصبحت لغة العلم والمعرفة فاستوعبت جل العلوم كما حدث إبان حركة الترجمة الواسعة في العصرين الأموي والعباسية، وصولاً إلى مرحلة التأليف والإبداع في شتى العلوم والمعارف الإنسانية واستمر الحال كذلك لقرون عديدة ، فكانت العربية –الفصحى – هي اللغة العالمية الأولى؛ حيث كانت لغة الأدب والفلسفة، والطب والهندسة، والفلك والرياضيات، وعلوم الكيمياء والفيزياء ، يشهد على ذلك مؤلفات الكندي، وابن سينا، والبيروني، والفارابي، وابن رشد وغيرهم من أعلام الفكر العربي الإسلامي الإنساني(الطيب، ٢٠١٧م،ص ٨٢–٨٣).

لقد مرت على البلاد العربية وخصوصاً في مرحلة الاستعمار بفترات كانت مليئة بمحاولة طمس الهوية، وإضعاف مكانة العربية في الحياة العامة، ولعل فيما كتبه سلامة موسى في كتابه (مقدمة السوبرمان ) أكبر مثال على التعبير عن حالة الانبهار بالحضارة الغربية ، والدعوة إلى ترك العربية ، واستبدالها باللغة العصرية كما يقول عنها – لغة العصر – (موسى ،١٩٤٥م،ص٧–٨) ، وتعد هذه الدعوة من

أخطر الدعوات التي تدعو إلى الركون إلى التراث الغربي ، والانفصال عن تراثنا العربي المتمثل في لغتنا العربية المرتبطة بمستقبلنا الحضاري .

ومع تلك الدعوات إلا أن اللغة العربية بقيت حاضرة في أذهان وضمائر العرب، فهي لغة قد تتأثر بالدعوات إلى إضعافها إلا أنها تختزل قوتها من داخلها، وهي لغة مؤثرة في اللغات الأخرى، "والعربية بوصفها لغة القرآن ولغة الفاتحين المسلمين، كانت لغة مقرضة أكثر منها مقترضة، فقد كان للقرآن الكريم –بحضوره القوي وسطوته على ألسنة أتباعه الجدد، إضافة إلى هيمنته على نفوسهم وعقولهم–أبلغ الأثر في نظامهم الصوتي الذي تأثر كثيراً بالمنظومة الصوتية العربية ، فلا عجب أن نجد أصواتاً كثيرة مقترضة في اللغات الأخرى من العربية تنطق كما هي؛ كالثراء في المفردات، والدقة في القواعد، ما جعلها تتفوق على غيرها بظاهرتي التأثير والإقراض أكثر من الاقتراض"( بني بكر ،٢٠٢٢م،ص١٠)

لقد كان حضور اللغة العربية العالمي وتأثيرها الكبير في الحضارة الإنسانية وسيلة لبناء الهوية العربية المفتخرة بعروبتها ، المنفتحة على الآخر دون ذوبان ، بل إن كثيراً من الدراسات تتحدث عن أنها حافظت على خواص اللغات السامية القديمة مثل المحافظة على الإعراب على حين فقدت هذه الخاصية أكثر تلك اللغات، ولهذا يتجه كثير من المستشرقين إلى أن دراستها تفيد كثيراً في الوقوف على خصائص السامية القديمة ومزاياها بل إن (بروكلمان) يرى أن لغة الشعر العربي قد استوعبت كل خصائص الأصل اللغوي السامي أكمل استيعاب ولهذا يرى "فلهاوزن" أن اللغة العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة (مهران ،١٩٩٥م،ص١٧٧) ، من خلال هذا نعرف للعربية مكانتها بين اللغات الأخرى ، ولمّا كان العرب أكثر تماساً مع الأمم الأخرى كفارس والروم كان من الضروري أن تتأثر اللغة بغيرها من اللغات كما هي مؤثرة في غيرها، وظهر مع ذلك ما يسمى بالتعريب، فاستوعبت اللغة العربية كثيراً

من المصطلحات والمسميات العلمية والحضارية عند الأمم الأخرى كما هو الحال مع كثير من الكلمات اليونانية كالإسطرلاب ، وكلمات مثل الفردوسي والميزان والقنطار...وغيرها، وكذلك تأثر الكتابة في اللغة الفارسية بالخط العربي، واستيعاب العربية لكثير من الكلمات الفارسية، " وتشير المصادر التاريخية إلى أن تأثير الفارسية كان قوياً في بعض المدن التي شهدت تفاعلاً ثقافياً ولغوياً بين الشعبين؛ العربي والفارسي، فكان أهل البصرة يستعملون بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم، وأهل الكوفة والمدينة اقتبسوا كثيراً من المفردات الفارسية واستعملوها في حياتهم اليومية... غير أن ما أخذته العرب من الفارسية قليل جداً، إذا ما قيس بما أخذته الفارسية من العربية؛ لأن اللغة العربية بعد الإسلام كانت لغة قوية معبرة ذاته كيان متكامل، صالحة للتعبير عن كل المعاني المتصلة بشؤون الحياة ومطالبها، فلم تكن بحاجة إلى ألفاظ أجنبية تستخدمها؛ إلا ما كان يدل على أمور جديدة مستحدثة لم يكن للعرب بها معرفة من قبل، ومن هنا أخذ العرب بعض الألفاظ والمصطلحات الديوانية والإدارية، والألفاظ التي تُعبر عن وسائل وأدوات جديدة، أو أنواع من الأطعمة والملابس والنباتات(بني بكر ،٢٠٢٢م،ص ١٠٣-١٠٤) ، هذا هو الحال مع اللغات القديمة، وهو مع اللغات الحديثة أكثر وضوحاً، وقد يظن بعض الباحثين أن اللغة الإنجليزية مثلاً كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها، إلا أن الواقع يقول غير ذلك ولعل هذا التأثير واقع بسبب عاملي: الترجمة والتجارة ، إذ ترجمت في عام(١١٥٠م) مؤلفات عربية كثيرة إلى اللغات الأوروبية، وكانت غاية المترجمين طلب العلم والاستفادة من العرب، وكان العرب على علاقة تجارية مع دول أوروبا وأمريكا، وإن كان دخول كثير من الكلمات العربية إلى الإنجليزية جاء عن طريق اللغتين الإسبانية والبرتغالية، اللتين تتضمنان عدداً يزيد عن(١٥٠٠) كلمة ذات أصول عربية وفق ما قرره (دوزي) وفي بحث قدمه الأستاذ أنيس المقدسي إلى مجمع اللغة العربية تعرض لتحقيق (١٤٠)

لفظة عربية واردة في معاجم اللغة الإنجليزية، وهي ألفاظ تسجل تسرب العربية في الإنجليزية، وقد ألف (سليمان أبو غوش) كتاباً بعنوان: (عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربي) وألف المستشرق(والت تايلور) كتاباً بعنوان: (كلمات عربية في اللغة الإنجليزية) وذكر في هذا الكتاب نحو ألف كلمة ذات أصل عربي وآلاف أخرى مشتقة من هذه الكلمات(لجندي ،١٩٨٢،ص٩٤، السحيمي ،٢٠٠٧،ص٩٨، بني بكر ،٢٠٢٢م،ص١٩١).

من خلال هذه المقارنة لعلاقة التأثر والتأثير بين اللغة العربية واللغات الأخرى، نستطيع القول بأن هذه اللغة تحتل مكانة كبيرة في موقع التأثير العالمي، بل أن هذه اللغة تمنح المتحدث بها فرصة كاملة للتعبير، في ظل تنوعات سياقية متعددة، فهي تفتح آفاقاً واسعة أمام المتحدث ليُعبر بطرق إبداعية، وتجعله ينوع من أساليبيه، ليناسب حديثه كل متلقٍ له بحسبه، بل تجعلها أكثر وضوحاً أمام السامع لتطور نظامه الصوتي، والتطابق شبه التام بين المكتوب والمنطوق بها، بالإضافة إلى ثبات تلك الأصوات (الثمانية والعشرين حرفاً) ومساواة رموزها الكتابية لأصواتها.

## المبحث الثالث: اللغة في مواجهة الاستلاب الحضاري باعتبارها قوة حامية

تهيمن على كثير من الأمم فترات غياب عن موقع التأثير، وتبقى في لحظة من الزمن أمة هامشية متأثرة بالآخر، في ثقافته وفكره ولغته، بل قد يصل بها الحال إلى الذوبان، والابتعاد عن المكانة التي كان ينبغي أن تحافظ عليها.

إن حالة الامتزاج التي يعيشها العالم في مختلف الثقافات في هذا الزمن – سابقة– لم يمر على الإنسانية مثلها، فحينما تُقدّم الثقافة والمدنيّة الغربية نفسها نموذجاً ينبغي أن يُحتذى به في كافة المستويات، ليتسابق الكثير من أبناء الأمة ومثقفيها إلى المطالبة باللحاق بركب الحضارة الغربية من غير تمييز ولا تدقيق، بل قد يتجاوز ذلك إلى طلب التماهي مع الحضارة الغربية، ليصل إلى جعل الإنجاز الغربي مقياساً لصحة ثقافتنا ومدى تقدمنا، وهذا ما أدى إلى محاولة تحطيم كل الجسور الثقافية والاجتماعية لدينا من أجل تهيئة التربة للغراس الغربي، على الرغم من أن كل تلك الحضارات الغربية إنما هي إنجازات تاريخية لا تتسم بالثبات والاستقرار، وتصبح المطالبة باقتفاء أثرهم بكل ما لديهم من اختلالات في داخل المجتمع الغربي نوعاً من الاستيلاب الحضاري لأي أمة من الأمم.

إن دعاة الالتحاق بركب الحضارة الغربية على اعتبارها مهيمنة على العالم اليوم ، يطالبون بين فترة وأخرى بالتخلي عن موروثنا الثقافي والحضاري، بل قد يصل بهم الحال إلى أن جعلوا تراثنا نقيضاً للتحديث، فلا تحديث إلا بالإجهاز على التراث، وغسل ذاكرة الأمة منه، وتتعدد مظاهر الاستلاب الحضاري المؤثرة على الهوية ومنها:

**١ – الهوية الفردية:**

تعتبر الهوية الفردية هي المؤسس للهويات التي تقوم عليها أي أمة من الأمم، فبناء الإنسان والاهتمام به يؤسس لبناء حضاري للأمة كلها، وتبقى تلك الهوية عرضة

لمحاولات طمسها التي يسعى لها كل من لا يريد خيراً بأي مجتمع من المجتمعات، فعندما تكون الهزيمة الثقافية والحضارية منطلقة من الفرد، ستصل بعد ذلك إلى غيره في مجتمعه الأقرب ، فكل مجتمع يُبنى على أفراده، وبهم يقوم وينهض ، ولذلك تتعدد مظاهر الاستلاب عند الفرد كاللغة ، والثقافة ، والفكر ، ومن أهم أسباب ذلك هو حالة الانبهار بالآخر الغربي، مع حضور مصطلح (العولمة ) بكل أشكالها ، ابتداءً باللسان والملبس والمأكل ، وصولاً إلى الأفكار، بل قد يتعدى ذلك إلى ضعف العلاقة مع الذات والمجتمع ، فالمهزوم مولع بحضارة الأمة الغالبة كما يقول ابن خلدون في مقدمته ، ولذلك قد تجد كثيراً من أبناء المجتمع يذوب في غيره حتى ينسى نفسه وتاريخه وحضارة أمته، فتصبح (الأنا) غريبة خاضعة للآخر، وهو ما يتطلب منا جميعاً البحث عن هوية تمتلك مقومات حضارتنا، وتنطلق من معتقداتنا وثوابتنا الدينية والثقافية والتاريخية.

**٢- الهوية الجماعية:**

تتشكل الهوية الجماعية في أي مجتمع من المجتمعات من العقيدة الدينية، والمعايير الأخلاقية، والأعراف، والعادات، والتقاليد، ومن مجموع التراث الثقافي والحضاري الذي ترثه جماعة ما عن ماضيها، ويسهم في تشكيل كيانها، ومن وعي الجماعة بتاريخها وتعرفها إلى ذاتها من خلاله (الدوسري،٢٠١٥م،ص ٥٣) ، لقد حُفت هذه الهوية على كثير من العصبية والتفاخر والتعاظم والاحتقار واستصغار للآخرين ، ولكنها في بعض الأحيان تكون خاضعة للاستيلاب بالحضاري إذا ما وقعت تحت طائلة الاستعمار الثقافي والفكري الذي يهيمن على العالم اليوم، وعندما تضعف تلك العلاقة بين الأمة في صورتها الجماعية مع ماضيها وتراثها تصبح رهينة لثقافة ولغة الآخر البعيد لغة ودينا وثقافة، إن هذا الاستلاب في صورته الجماعية من أخطر صور الاستيلاب، لأن التغيير في ذلك يحتاج إلى جهد أكبر، وإلى تفكير أعمق للعودة

بالهوية إلى قوتها وانتمائها، ولا يتم ذلك إلا من خلال التوافق بين الهوية الفردية والهوية الجماعية، وبناء هوية تحتوي على دوائر هامة تبدأ من دائرة (الوطن كهوية ) تساهم في ترابط أبناء الوطن الواحد في مواجهة التحديات ، وتأتي الدائرة الثانية التي تمثل (القومية كهوية) على اعتبار أن الوطن العربي هوية جامعة تجمع: الأصل والدين واللغة والتاريخ والمشاعر ، وتوّحدُ الرؤى والتطلعات والهموم ، مع التأكيد على أن هذه الهوية لا تتعارض مع الهوية الأولى(الذاتية) ، بل تمتزجان امتزاج تآلفٍ، وتتداخلان تداخل تواؤم وتوافق ، وتأتي الدائرة الثالثة التي تمثل (الأمة الإسلامية كهوية ) – على اعتبار الدائرة الإسلامية هوية– تجمع أبناء الأمة في المجتمعات المختلفة في إطارها، وتشكل قوة حامية من هيمنة الاستلاب الحضاري، لتشكل مع الهويتين السابقتين هوية كبيرة شاملة تكسب الأمة قوتها ، وتعيد لها صدارتها بين الأمم.

من خلال هذه المظاهر التي قد يسببها الاستيلاب الحضاري نجدنا في حاجة إلى ما يسمى بـ (المواجهة الحضارية ) ، والذي يهمنا في ذلك هو دور اللغة باعتبارها قوة حامية من حالة الذوبان التي قد يُصاب بها أي مجتمع من المجتمعات، وخاصة العربية منها فما هو هذا الدور الذي تقوم به؟ ولعلنا أن نحدده بما يلي:

أ- دور اللغة يبدأ من علاقتها بالدين، وهما يمثلان الضمانة الأكبر لمواجهة الاستلاب الحضاري، وتقوم اللغة بتعزيز دور الدين، وتقوية الوازع الديني من خلال كون اللغة لسان التوجيه ، ولذلك قال تعالى:( **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** ) [سورة طه:١١٣]، فهذا القرآن الذي نزل باللغة العربية من أجل أن يُحدث للناس ذكراً ، ويحقق لهم منزلة التقوى، ولذلك نزل هذا القرآن فصيحا عربياً يلامس القلوب والعقول، فكان العربي الجاهلي ، الساكن في الصحراء، البعيد عن الحضارة ، عندما سمع هذا القرآن قال

بأنه ليس كلام بشر، بل هو كلام من الله تعالى، يخاطب قلب الإنسان ومشاعره وعقله وتفكيره.

ب- دور اللغة في الحفاظ على تراث الأمة ، وتاريخها، ونشر ذلك في كل مكان، فهذه اللغة لغة العلم والمعرفة والحضارة ، وقد اهتم المسلمون بالكتابة بالعربية في بادئ الأمر بقصد تدوين القرآن الكريم ، دستورهم المنزل، ومرشدهم إلى الطريق القويم ، فلم يألوا جهداً في تطويرها وتجميلها، حتى تكون في هذا المستوى العظيم، ثم جاءت هذه اللغة لتحفظ لنا تاريخنا العربي والإسلامي، فمكتبات بغداد ، وقاهرة المعز ، والمغرب العربي ،خير دليل على ذلك ، بل مكتبات العالم الغربي التي تحتوي كنوزاً من كتبنا العربية ، التي ساهمت في التطور الحضاري والعلمي في العالم أجمع.

ت- استمرار حركة التأليف باللغة العربية من العوامل المهمة التي تمهد الطريق للتأثير في اللغات العالمية، وهو ما يجعل اللغة حاضرة في مواجهة فكرة الاستلاب الحضاري، ولذلك ينبغي للمثقفين والعلماء في جميع المجالات أن يهتموا بالكتابة بلغتهم وأن تكون لغة المعرفة والعلم والثقافة.

ث- ينبغي أن تكون هذه اللغة لغة عالمية، ولا يكون ذلك إلا من خلال انعتاقها من قيود العنصرية، أو المحلية الضيقة فهي بذلك تكتسب سمة العالمية، وتكون لغة صالحة لكل الناس، ولكل الأجيال في كل زمان ومكان، والتاريخ يشهد أنها كانت لغة للإنتاج العلمي والفكري، ولساناً ابدع من خلاله أبناء الأمة الإسلامية الذين ينتمي أغلبهم لعرقيات غير عربية ، ضروباً من المعارف والعلوم والفنون والآداب الراقية، وظل ما كتبه علماء العربية من العرب وغيرهم بالعربية منهلاً وينبوعاً نهل منه علماء الغرب المحدثون، وأسسوا على هداه دعائم الحضارة الإنسانية المعاصرة(الطيب ، ٢٠١٧م،ص ٢٩).

إن في كل هذه الأدوار التي تقوم بها اللغة كونها قوة حامية من الاستلاب الحضاري يجعلنا نؤمن بأنها لغة عالمية، وهي لغة إنسانية صرفة لا تتحيز لأي فئة أو جنس، فالذين كتبوا بها كثير منهم ليسوا عرباً، وهذا ما يجعلها لغة صالحة للإنتاج العلمي والفكري، ولساناً مبدعاً في شتى المعارف والفنون، ولغة تستطيع أن تكون جامعة وأن تكون جسراً ومعبراً للتواصل بين بني الإنسان على اختلاف ألسنتهم وألوانهم.

## الخاتمة:

من خلال تناول هذه القضية الهامة التي تتعلق بدور اللغة العربية في مواجهة الاستلاب الحضاري، الذي تعاني منه كثير من البلدان، تناولت الدراسة مسألة تشكيل الهوية ، وكون اللغة من أهم ما يُشكلها ، و علاقتها بالدين على اعتباره قوة مهيمنة على كثير من المجتمعات، وهما يمثلان ثنائياً يحمل على مواجهة الأخطار التي تواجه الأمة بمجملها، ويسهمان في بناء حصونها الداخلية ، لمواجهة ما يحاك ضدها من الخارج ، فتبقى أمة قوية مأمونة الجانب، ذات مكانة مرموقة بين الأمم، ثم تناولنا بعد ذلك مكان اللغة العربية في موقع التأثير العالمي وعلاقة ذلك بالهوية، وكون هذه اللغة تحمل تأثيرا كبيراً على غيرها من اللغات.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة :

١- تعتبر اللغة قوة حامية من الانصهار في الثقافات الأخرى .

٢- تقوم اللغة بعمل كبير في مواجهة الاستلاب الحضاري الذي يتمثل في حالة الاغتراب الثقافي الذي قد تعيشه بعض المجتمعات العربية.

٣- حتى تبقى اللغة في مكان التأثير، فينبغي أن تهتم بها المجتمعات ابتداء من الفرد، إلى الجماعة ، إلى الوطن ثم الأمة، وجعلها لغة المعرفة والعلم، وإنشاء الجامعات المهتمة بهذه اللغة ، وفتح المجال أمام طلاب الدراسات العليا ليتخصصوا في قضايا اللغة المختلفة، والمساهمة في المحافظة عليها، وينبغي للعلماء في جميع التخصصات النظرية والعلمية أن يكون جزءٌ كبيرٌ من كتاباتهم بلغتهم الأم، حفاظاً عليها ومشاركة منهم في عالميتها.

٤- هذه اللغة تملك قوتها من داخلها ، ويكفيها أنها لغة القرآن، فهي خالدة بخلوده، باقية ما بقي، عالمية بعالمية هذا القرآن.

**والله المؤمل من قبل ومن بعد.**

## المراجع:


[١] **ابن منظور ، أبو الفضل** (١٩٩٣م) ***لسان العرب*** ، ط٣، بيروت ، دار صادر.

[٢] **اسماعيل، نور،** (٢٠١٩م) ***نزعات التعددية الثقافية في القرن الرابع الهجري***، ط١، بيروت، دار الرافدين .

[٣] **بن غنيسة، نصر الدين ،** (٢٠٢١م) ***عن أزمة الخوية ورهانات الحداثة في عصر العولمة***، ط١، بيروت – لبنان، منشورات ضفاف .

[٤] **بني بكر، عبدالقادر** ، وآخرون ،(٢٠٢٢م) ***أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى وتأثرها بها***، ط١، أبو ظبي، مركز أبو ظبي للغة العربية في دائرة الثقافة والسياحة.

[٥] **حمداوي ،جميل ،**(٢٠١٢م) ، ***مقال النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، موقع ديوان العرب*** /http://www.diwanalarab.com .

[٦] **الجندي، أنور ،**( ١٩٨٢م) ***الفصحى لغة القرآن*** ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني.

[٧] **الدوسري، دوش،**( ٢٠١٥م) ***الموقف من الهوية العربية ورقة نقدية ضمن أعمال المؤتمر الدولي النقدي الأول لنادي أبها الأدبي (الهوية والأدب)*** ، ط١، بيروت ، دار الانتشار العربي .

[٨] **السامرائي، سهام،** (٢٠٠٥م) ***رواية الأرض والتاريخ والهوية في رواية عمكا لسعدي المالح***، ط١،دار غيداء للنشر والتوزيع .

[٩] **السحيمي، سلمان ،**(٢٠٠٧م) ، ***أثر العربية في اللغات الأوروبية عن طريق اللاتينية*** ، القاهرة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، ج٩ ، العدد ٢٥.

١٠- **السماهيجي ، حسين** ، وآخرون ،(٢٠٠٣م) ***مقدمة الغذامي لكتاب " عبدالله الغذامي ، والممارسة النقدية والثقافية"*** ، ط١،بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

١١- **الطيب ، عبدالمجيد** (٢٠١٧م)، ***منزلة اللغة العربية بين اللغة المعاصرة ، دراسة تقابليه*** ، ط٣، السعودية ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الرئاسة العامة لشؤون المسد الحرام والمسجد النبوي .

١٢- **مشبال ، محمد** ، (٢٠١٥م) ***بلاغة الخطاب الديني*** ، ط١، الرباط ، منشورات ضفاف .

١٣- **مهران ، محمد** ، (١٩٩٥م) ***تاريخ العرب القديم*** ، ط١،مصر ، دار المعرفة الجامعية ، ، ج ١ ..

١٤- ***موسى ، سلامة*** ، (١٩٤٥م) ***البلاغة العصرية واللغة العربية*** ، ط١، القاهرة ، سلامة الموسى للنشر والتوزيع.

١٥- **الميلاد، زكي** ، (٢٠١٥م) ***الهوية والهويات من تحدي الحداثة إلى تحدي العولمة*** ضمن أعمال المؤتمر الدولي النقدي الأول لنادي أبها الأدبي(الهوية والأدب )، ط١، بيروت ،الانتشار العربي.

# The other and mirrors of identification, language as an identification- study in the light of the cultural criticism

**Abstract:**

This paper attempted to study this weakness that the nation is going through today, and the state of cultural and social slackness, and assimilation into the other, which is far away as culture, religion and feelings.

The questions that should be kept in mind are:

Is openness to the other and being influenced by what he has considered robbery?

Is the identity one identity or is it multiple with the multiplicity of ideas and theses?

Can the Arabic language associated with the Arab mind, which is open to world cultures, be an influential identity for others?

Does the Arab's loss of language identity lose his identity in its general cultural sense?

In this research, I will address the idea of language as a national identity that is resistant to the dominant cultural and civilizational globalization, relying on the cultural criticism approach as it is the closest to this study.

This paper has attempted to find solutions to the issue of the absence of identity and cultural robbery that we feel today in our great Arab homeland. It represents the most important results of the study, which confirms that language has a major role in protecting identity from the influence of cultural alienation.
**Keywords** : language - identity - formation - influence - the other - the cultural criticism.